سينما

حكايات سينمائية عن 11 سبتمبر 2001

للمال «قيمة» أم للفقدان؟

يروي «قيمة» حكاية صندوق لتعويض ضحايا الاعتداء الإرهابي على أميركا قبل 20 عاماً، الذي ساهم في تبديل أناس من قسوة مشاعر إلى تعاطف

نديم جرجوره

يمرّ وقتٌ قليلٌ على الاعتداء الإرهابي على الولايات المتحدّة الأميركية، في 11 سبتمبر/ أيلول 2001، فتُنشئ السلطات الأميركية «صندوق تعويض ضحايا 11 سبتمبر» ويُكلَّف المحامي كينيث فاينبيرغ (1945) إدارته، لتخفيف عبء تحمّل مسؤولية التعويضات عن كاهل شركات الطيران. فاينبيرغ، المُقيم في واشنطن دي سي، حيث يعمل ويُدرِّس، يخوض تجربةً مريرة، تحثّه على معاينة أحوالٍ غير عارفٍ بها، وغير مهتمّ بأناسها ومصائبهم، وغير مكترثٍ بتأثيراتها على أقارب الضحايا. فاينبيرغ نفسه يؤلّف كتاباً بعنوان «ما قيمة الحياة؟ الجهد غير المسبوق لتعويض ضحايا 11 سبتمبر» (2006)، الذي يُصبح ركيزة أساسية لـ «قيمة» (2020، 118 دقيقة، «نتفليكس»)، للأميركية سارة كولانجلو. القيمة، بحسب فاينبيرغ (مايكل كيتون)، تتجاوز معنى المال إلى مبدأ أنّ لكلّ فردٍ قيمة مالية. عندما يُتوفّى المرء، لأي سبب، يسأل فاينبيرغ أولاً وأساساً: ما قيمته المالية، كتحديدٍ لتعويضٍ مالي فقط. أحد المشاهد الأولى يوضح تفكير المحامي، إذْ يُفسّر هذا في درسٍ جامعي لطلّاب يريدون أنْ يُصبحوا محامينَ. مشهدٌ آخر، في بدايات «قيمة»: سيدة تنظر إلى أحدهم، غير الظاهر أمام الكاميرا، سائلةً: «أتريد معلومات إضافية؟». لا إجابة. أساساً، هي غير مُنتظرةٍ إجابة، فتُكمِل: «سأقول هذا: أنا غاضبةٌ. أنا غاضبةٌ من الله، وغاضبةٌ من دولتي، أيضاً، لأنّها سمحت بحدوث هذا». تتنهّد قليلاً، وتُضيف: «ابني الجميل احترق وهو حَيّ بسببهم. ليس لديّ جسدٌ حتّى. إذا أخذ شخصٌ ما طفلك وفجّره... لم يكن لديه حتى ظفر. كيف تُكمِل من هناك؟ كيف تحسب ذلك (بالمال)».

العنوان الفرنسي للفيلم نفسه، A Quel Prix؟، يطرح سؤالاً مُكمِّلاً للتنازع العميق بين «القيمة» المالية والفقدان. الأولى يُعنى بها مسؤولو التعويضات، فالأفراد، بالنسبة إليهم، يُعوَّضون بالمال المدفوع إلى أقارب لهم. الثاني مختصّ بأهل وأقارب ومعارف وأصدقاء. الفقدان لا يُعوَّض. الأخلاق أيضاً. الدولة الأميركية «تسمح» باعتداء «الثلاثاء الأسود» (11 سبتمبر/ أيلول 2001)، ومحامون متواطئون مع جهات نافذة في الإدارة السياسية يرون في صندوقٍ للتعويضات إزالة مشكلةٍ، فيرتاح الجميع. منذ بداية «قيمة»، يتوضّح تماماً المسار الدرامي للسرد: هناك صراع بين مفهومين، يتناقض أحدهما كلّياً مع الآخر. رغم هذا، مسار العمل في «صندوق تعويض ضحايا 11 سبتمبر» يكشف بعض المخفيّ في العلاقات، وبعض النذالة في التصرّفات، وبعض التغيير في التفكير والوعي والتنبّه. أهلٌ وأقارب يرفضون مالاً، فالفقدان كبير، لكنّهم يقتنعون أخيراً بأنّ بعض المال يشفي جرحاً أو أكثر.

> تنازعٌ عميقٌ وخطرٌ بين «القيمة» المالية والفقدان

في مقالة منشورة في الموقع الإلكتروني الفرنسي «يومية السينما (lequotidienducinema)»، يكتب فرنسوا بوور (3 سبتمبر/ أيلول 2021): «أبعد من كونه قصّة حقيقية، الفيلم نداء للاهتمام بالضحايا وبأقاربهم». يُضيف: «هذه شهادة تُغرق المُشاهد مجدّداً في الحدث، كواجب الذاكرة». وصفٌ كهذا يختزل «قيمة»، المُفعم بانفعالات مؤثّرة، فالجحيم الهابط على أناسٍ كثيرين، صباح يوم مُشمِس وجميل، يحرق أهلاً وأقارب، يعجزون عن تصديق الهول الضارب فيهم عميقاً. ورغم أنّ سارة كولانجلو تُنجز فيلمها الجديد بعد 19 عاماً على الجريمة، تتمكّن من إغداق كمٍّ هائل من المشاعر والبكائيات، في ذروة الصراع الحاصل بين عقل متعالٍ وصارم، وقلب مفجوع بالقهر والغضب والانكسار.

القيمُة الأساسية لفيلم كولانجلو كامنةٌ في الجانب المتعاطف مع أهلٍ وأقارب، وفي محاولة انتقاد (ولو مُوارباً) آلية التعاطي الرسميّ مع المُصاب الأليم لهؤلاء الأهل والأقارب. الوحش في كينيث فاينبيرغ غير مستسلم بسهولةٍ لوقائع، فيها من الإنسانيّ والأخلاقيّ ما لا يُدركه. ثراء مالي واضح في عيشه مع زوجته، وفي مكتبه وملابسه، في مقابل أناسٍ سيرتبك أمام بعضهم، مع أنّه يعمل من أجل التعويض المالي عن فقدانهم. ارتباك يفضح الهوّة الكبيرة بينه وبين من يُفترض به أنْ يعمل لأجلهم. ارتباكٌ يختزل لحظة تبدّل، تضع صاحبها في جهةٍ أخرى نقيضة لجهته الأصل، من دون تناسي تأثيرات تنبّهه التدريجي لمنطقٍ يتحكّم بسادة الإدارة الأميركية، وبمشاعرهم إزاء فاجعةٍ كهذه، فهم يريدون خلاصاً بأي ثمنٍ، ولتُدفع الأموال، ولْيُغلق الملفّ.

«صندوق تعويض ضحايا 11 سبتمبر» يُنهي عمله بعد عامين على إنشائه (2003). كينيث فاينبيرغ يُكمِل عملاً غير قادرٍ على التنصّل منه: برفقة مساعدته الأساسية كارولاين، يذهب إلى ضحايا كوارث وأحداثٍ مختلفة في بقاع عدّة، لمساعدة أهلهم وأقاربهم. بهذا التحديد، المكتوب في جينيريك النهاية، يؤكّد «قيمة» ما يوحي به مراراً في سياقه السرديّ: إنّه وثيقة بصرية تعكس وقائع حقيقية لمحام، وصكّ تنقية صورته في الوقت نفسه، بغلافٍ سينمائيّ. كتابة السيناريو استناداً إلى كتابٍ له تقول إنّ «قيمة» يهتمّ بالمحامي أولاً، وإنّ في فصلٍ من سيرته، لعلّه الفصل الأكثر حدّة وقسوة واضطراباً في حياته المهنية. الوثيقة البصرية تشير أيضاً إلى أنّ «قيمة» يمزج قليلاً من التمثيل والمتخيّل بكثيرٍ من التوثيق.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

سارة كولانجلو في مهرجان ساندانس 2020 تُقدّم «قيمة» (مايكل كوفاك/ Getty)

«الكرة الكريستال» للصربي أرسنيجفيتش

سرد وقائع وإدانة المهاجرين واضحة

كارلوفي فاري ـ **أمل الجمل**

3 جوائز نالها «أسير إلى أبعد ما أستطيع»، للصربي ستيفن أرسنيجفيتش، في ختام الدورة الـ55 (20 ـ 28 أغسطس/ آب 2021) لـ«مهرجان كارلوفي فاري السينمائي الدولي»: الكرة الكريستال، أكبر جوائز المهرجان؛ وأفضل ممثل لإبراهيم كوما؛ وتنويه خاص من لجنة التحكيم الرئيسية لمديرة التصوير يلينا ستانكوفيتش. بالإضافة إلى جائزة من «هيئة المحلفين المسكونية».

التعامل معه كفيلم سينمائي عن المهاجرين غير الشرعيين، يجعله تقليديا للغاية، لا يُقدّم جديداً بعد مئات الأفلام الوثائقية والروائية، التي طرحت القضية الشائكة بإنسانية ورقّة مؤثّرة. قيمته الحقيقية تكمن في التسامح والغفران والتضحية بالحبّ لإنقاذ الحبيبة. هذا يتّضح في الدقائق الأخيرة، ما يجعل المُشاهد يتعاطف بقوّة مع بطليه.

فكرة الفيلم مُستلهمة من قصيدة ملحمية صربية بعنوان «ستراهينيا»، من القرن الـ14، عندما أصبحت صربيا هدفاً للغزاة العثمانيين، الذين أحرقوا إحدى القلاع المتمرّدة، وخطفوا زوجة النبيل الصربي ستراهينيا. الأمر تجاوز الاختطاف والإغتصاب إلى الخيانة العلنية، التي تستلزم، في التقاليد الشعبية، قتل الزوجة. لكن ستراهينيا، بعد بحثه الطويل وعثوره على زوجته، لم يقتلها، بل أعادها إلى والدها وأخويها، مُعلناً أنّه سامحها، ومُكتفياً بتمزيق حلق المعتدي المغتصب.

للشخصية الأساسية في فيلم ستيفن أرسنيجفيتش الاسم نفسه لبطل القصيدة: نبيلٌ آخر، في ظروف مغايرة وبعيدة عن الخيانة. مُهاجر شاب من غانا، يعيش مع آلاف آخرين في مخيّم للاجئين في بلغراد، بعد محاولتهم العبور إلى الاتحاد الأوروبي.

مع زوجته الشابّة أبابو، المرتبط بها منذ 3 أعوام، ينتظر الحصول على أوراق الهجرة، لتُصبح حياتهما أيسر وأكثر إنسانية. ظاهرياً، يبدو أنّ الحبّ يُهوّن عليهما الانتظار بين عشرات اللاجئين، الذي يأتون ويرحلون، بينما يُساهم الشاب أحياناً في إرشادهم إلى طريق المهرّبين، نظير حصّة مالية.

لحظات قليلة مع الأطفال الصغار في المخيم تكشف أنّ الممثلة الطموحة أبابو لم تتخلَّ عن حلمها في تأدية دور بطولة على خشبات المسرح في إنكلترا. يتّضح هذا أكثر عندما ينضمّ إلى المخيم لاجئون سوريون جدد، بينهم شابان (مكسيم خليل ورامي فرح) يُخطّطان للهروب عبر الحدود إلى إنكلترا. النقاش الجماعي بينهم يشي بتوتّر خفي بين الزوجين، وبأنّ ستراهينيا، رغم حبّه الشديد لزوجته وإيمانه بموهبتها، يُحجّمها لتبقى معه.

في أحد الأيام، يُقبَل ستراهينيا في فريق كرة القدم الصربي، بعد رفضٍ متكرّر، فيسهر مع أصدقائه احتفالاً بالمناسبة حتّى الصباح. عند عودته، يكتشف فرار زوجته مع الشابين السوريين، فيقرّر البحث عنها واستعادتها. في رحلته، تظهر تفاصيل المفاوضات بين السائقين والمهرّبين، وحقيقة الخديعة التي يتعرّض لها المهاجرون من المافيات. صحيحٌ أنْ لا جديد، لكنّ التفاصيل موظّفة درامياً.

هناك مكالمات هاتفية لرجل سوري، وشابّة من بلده تتلقّى رسالة تفيد بخطورة إصابة أحد أفراد عائلتها بجروح، وبسوء الوضع في دمشق.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

أفضل ممثل عن دوره في «أسير إلى أبعد ما أستطيع» لستيفن ارسنيجفيتش (يوهان بونّي/ فرانس برس)

> القيمة الحقيقية تكمن في التسامح والغفران والتضحية

أفلام جديدة

■ All Dogs Die لنينا بالمادوتر (الصورة): يُقيم جونار في مزرعة وسط منطقة لا أحد فيها إطلاقاً. صمتٌ لامتناهٍ يحيط به، ما يجعله منزعجاً عند نباح الكلب، صديقه الوحيد، ووجود حفيدته التي تصل إليه ذات لحظة غير متوقّعة. قصّة رقيقة عن مخاوف غير معلنة، وإيماءات كثيرة تُخفي ضعفاً وفناء وتساؤلات شتّى، على الجميع معرفة أجوبة عنها في حياتهم كي يعثروا على شيء من راحة وهدوء.

■ Best Sellers للينا رويسلر (الصورة): لوسي شابّة مفعمة بالحيوية، ترث دار نشر ويُحتفل بذلك مع أصدقاء ومعارف. لكن دار النشر تواجه خطر الإفلاس، ما يدفعها أولاً إلى التساؤل عمّا حدث لذاك العصر الذهبي الآيل إلى الأفول، حين تمكّنت الدار من تحقيق شهرة واسعة وأرباح مالية كثيرة. ثم تبدأ البحث عن أي وسيلة ممكنة لإنقاذ الدار، رغبةً منها في عدم التخلّي عن إرثٍ عائليّ قديم للغاية.

■ Ouistreham لإيمانويل كارّير، تمثيل جولييت بينوش (الصورة): بتجاوزها سنّ الخمسين بوقتٍ قليل، انغمست الكاتبة ماريان وينكلر في عمل مرهق ومؤقّت ومحفوف بالمخاطر: أنْ تكون مدبّرة منزل على عبّارات تنتقل بين «ويسْتْريام» الفرنسية (منطقة النورماندي) و«بورتشماوث» (المدينة الشعبية على الساحل الجنوبي لإنكلترا). تجربة تريد اختبارها لـ6 أشهر فقط. لكنْ، ربما تمنحها التجربة ما يُعينها على استعادة حياتها وتوازناتها النفسية.

■ Nest لشون دوركِن، تمثيل جاد لو وكارّي كوون (الصورة): لأنّ فرص العمل التجاري تتقلّص كثيراً في الولايات المتحدّة الأميركية، يُقرّر سمسار السلع روري العودة إلى بلده إنكلترا، مع وعد ببداية جديدة مُربحة. لكنّ، هل يُمكن لهذا القصر الفخم، الذي سيكون مقرّ إقامته خارج لندن، أن يكون «منزلاً حقيقياً له»؟ الفيلم موصوف بأنّه «دراما مُقلقة وجمالية دقيقة موضوعتان سينمائياً، بشكل دقيق وعميق ومهمّ.

■ «البحر أمامكم» لإيلي داغر، تمثيل منال عيسى (الصورة): تعود جنى إلى بيروت بعد تمضيتها أشهراً طويلة في باريس، محاولة متابعة دراستها الجامعية هناك، مع رغبة في الحصول على عمل. العودة إلى بيروت في الزمن الراهن مدخلٌ إلى تفاصيل وعلاقات ومواقف وانفعالات، فالمدينة مُصابة بأعطاب جمة، والانهيارات كثيرة. لذا، أيكون الهرب مجدّداً إلى باريس خلاصاً دائماً أم ماذا؟